الفصل الخامس

تربية الطّفل الخُلُقية والاجتماعية والرأفة به مع المساواة

البحث الأول:

التربية الخُلُقية للطفل على هدي السنّة النّبويّة

الخُلُق: السّجيّةُ والطّبع، ولا بُدَّ للطفل من تربيته تربيةً خُلُقيةً حسنةً فاضلة؛ لينشأ عليها، ويشبَّ على كرائمها.

قال الحافظُ ابن حجر: والأدَبُ: استعمالُ ما يُحْمَدُ قولاً وفعلاً، وعُبّر عنه بأخذ مكارم الأخلاق. وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم مَنْ فَوْقَكَ والرّفْقُ بمَنْ دُونَكَ. وقيل: إنّه مأخوذٌ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه[1]. والأدب: حُسْنُ العُشْرة.

وإنّ مَنْ أدبتُهُ في زَمَنِ الصِّبَا ... كالعُودِ يُسْقَى الماءَ في غرسِهِ

حتى تَراهُ مُوَرّقاً ناضِراً ... بعدَ الذي أبصرتَ من يُبْسِهِ

والشّيخ لا يتركُ أخلاقَهُ ... حتى يوارى في الثّرى رمسِهِ

إذا ارعُوى عادَ إلى جهلِهِ ... كذي الضَّنَا عادَ إلى نكسِهِ

وتتجلّى أهميةُ الأدب وغرسُهُ ونَحْلُهُ للطفل أكثر فأكثر عندما نرى أن الرّسول ﷺ أعطاه أهميةً عظمى في البناء الأخلاقي حتى جعل غرسَهُ في الطّفل وتعويده عليه ليصبحَ طبيعة من طبائعه الخلقية وسجية من سجاياه الطبيعية، أفضل من عملية الصدقة التي تطفىء الخطيئة، مع ما في الصدقة من أهمية في الإسلام. وفي الأثر: «ما نحل

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣، جامع بيان العلم وفضله، ج ١/ ٨٦.

والدٌ ولداً من نحل أفضل من أدب حسن». توريث الأولاد الأدب خيرٌ لهم من توريث المال.

ووعى السّلفُ الصّالح أهميّةَ الأدب ومقدارَهُ وسموَّ رفعته، فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبُّوا على ذلك، ونصحُوا الأمّةَ به، فهذا الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما يُوجّه نداءه للوالدين بخطاب رقيق يضع لهم معادلة رياضية، ومساواة حسابية، فيقول: «أدّبْ ابْنَكَ فإنّك مسؤولٌ عنه، ماذا أدبتَهُ؟ وماذا علّمتَهُ؟ وهو مسؤولٌ عن برِّكَ، وطواعيتهِ لكَ»[١].

ويكتسب من الأدب الصّالح: العقل النّافذ، ومن العقل النّافذ حُسْنَ العادة، ومن حُسْن العادة الطّباعَ المحمودة، ومن الطّباع المحمودة العملَ الصّالح، ومن العملِ الصّالح رضَا الربِّ، ومن رضَا الرّبِّ المُلْكَ الدّائم! ويكتسب من الأدب السوء فسادَ العقل، ومن فساد العقل سوءَ العادة، ومن العادة السيّئة رداءَةَ الطّبع، ومن الطّباع الرّديئة سوءَ العمل، ومن العمل السيّىء سوءَ القالةِ وغضبَ الله، ومن غضب الله وسُخْطهِ الذّلَّ الدّائم[٢].

أدب الاحترام والتّوقير:

أخرج التّرمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النّبيّ ﷺ فأبطأ القومُ يُوسّعُوا فقال النّبيّ ﷺ: «ليس منّا مَنْ لم يَرْحَمْ صغيرَنَا، ويُوقّرْ كبيرَنَا»[٣]! . وفي رواية أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: «ليس منّا من لم يرحمْ صغيرنَا ويعرِفْ شرفَ كبيرنا»[٤]! . وفي رواية أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «ليس منّا من لم يُجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرفْ لعالَمِنا حقَّهُ»[٥]! .

---

(١) أحكام المولود، ص: ٢٢٥ لابن قيم الجوزية.
(٢) نصيحة الملوك، ص ١٧٣ للماوردي.
(٣) صحيح الجامع رقم ٥٤٤٥.
(٤) صحيح الجامع رقم ٥٤٤٤.
(٥) صحيح الجامع رقم ٥٤٤٣.

أدب الاستئذان:

أدب الاستئذان واجبُ الكبيرِ والصّغيرِ، وله مكانةٌ خاصّةٌ في التّشريع الإسلامي حتى خصّه الله تعالى بآيات تُتْلَى على مرّ الأجيال، وتعاقب الزمان، وله أهميةٌ كبرى في الحياة الاجتماعية والأُسريّة، لذلك كان يعرفه صغار الصّحابة مثل أبي سعيد الخدري فضلاً عن كبارهم ﷺ.

روى البخاري في الأدب المفرد عن عبيد بن عمير أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له وكأنه كان مشغولاً، فرجع أبو موسى ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد اللّه بن قيس؟ ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنّا نُؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجلس الأنصار، فسألهم فقالوا: لا يشهدُ لك على هذا إلّا أصغرنا أبو سعيد الخدري، فذهب بأبي سعيد، فقال عمر: أخَفِيَ عليّ من أمر رسول الله ﷺ ألهاني الصَّفْقُ بالأسواق، يعني الخروج إلى التّجارة. فنسي عمر أمير المؤمنين أنّه عندما لا يؤذن للشخص بالدّخول فعليه الرجوع من حيث أتى دون غضبٍ أو سُخْطٍ، فكان الشّاهدُ المذكر على سنة رسول الله ﷺ أبو سعيد الخدري ﷺ أجمعين.

أدب الطعام:

أخرج البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والتّرمذي عن عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصّحْفَةِ، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلامُ! سَمِّ الله تعالى، وكُلْ بيمينِكَ، وكُلْ ممّا يليكَ»** فما زالت طعمتي بعدُ.

خُلُق الصّدق:

خُلُقُ الصّدق أصلٌ هامٌّ من أصول الأخلاق الإسلامية، والتي تحتاج إلى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتمَّ بتثبيت هذا الخُلُق في الطّفل، وهو يُراقب تصرفات الوالدين مع الطّفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين في رذيلة الكذب على الطّفل، ويضع قاعدةً عامّةً أنّ الطّفل إنسانٌ له حقوقُهُ في التّعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعُهُ بأيّةِ وسيلةٍ كانت، واللّامبالاة في التّعامل معه.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أُمّي يوماً ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتِنَا. فقالتْ: تعالَ أعطِكَ، فقال لها الرّسول ﷺ: «**ما أردتِ أن تُعطيهِ؟ قالت: أردتُ أن أعطيَهُ تمراً، فقال لها: أمَا إنّك لو لم تُعْطِهِ شيئاً كُتِبَتْ عليك كَذْبةٌ**»!! فالطّفل لا يتعلم الصدق إلّا من والديه، وكذا غير ذلك! وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال لصبي تعال هاك أعطك ولم يعطه كتبت كذبة**». وأخرج الترمذي عن أبي جوزاء العدي ربيعة شيبان قال: قلت للحسين بن عليّ رضي الله عنهما: ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت منه: «**دَعْ ما يريْبُكَ إلى ما لا يريبُكَ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**».

وقد اهتم السلف بتركيز هذا الخلق الذي يتفرع عنه الصّدق في الموعد، سواء وعْدُ الكبار للصّغار، أو وعد الأطفال لبعضهم البعض.

خُلُقُ رسول الله ﷺ مع الأطفال:

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمتُ النّبيّ ﷺ عشرَ سنين، والله ما قال لي أفٌّ قطُّ. ولا قال لشيءٍ لِمَا فعلتَ كذا، وهلاّ فعلت كذا؟.

وفي رواية مسلم: «كان النّبيّ ﷺ من أحسن الناس خلُقاً فأرسلني يوماً لحاجة، فقلتُ: والله لا أذهب، وفي نفسي أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمرَّ على الصّبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «**أُنيس! ذهبتَ حيثُ أمرتُكَ؟**» قال: قلت: نعم أنا أذهبُ يا رسولَ الله! قال أنس: والله لقد خدمتُه تسعَ سنين ما علمتُه قال لشيء صنعتُه لِمَ فعلتَ كذا وكذا، أو لشيءٍ تركتُهُ: هلّا فعلتَ كذَا وكذَا.

وفي رواية أحمد قال أنس: خدمتُ النّبيّ ﷺ عشرَ سنين فما أمرني بأمرٍ فتوانيتُ عنه، أو ضيّعتُهُ فلامني، فإنْ لامني أحدُ أهل بيتهِ إلا قالَ: «**دَعَوْهُ فلو مُدِرَ**»، أو قال: «**لو قُضي أنْ يكونَ كانَ!**».

هذا هو خُلُق رسول الله ﷺ مع أطفال المسلمين، فما أحرانا أن نتخلّق بأخلاقه

مع أطفالنا لنُريهم الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢].

البحث الثاني:

تربية الطّفل تربية اجتماعية على هدي السنّة النّبوية

إنّ تربية الطّفل تربيةً اجتماعيةً على هدي السّنّة النّبوية يُقصد بها أن يكون متكيّفاً مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار أو مع الأصدقاء، ومن هم في سِنّه؛ وليكون فعّالاً إيجابياً، بعيداً كل البُعد عن الانطواء والخجل المقيت، يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري، ويُخالط ويُعاشِرُ، ومن خلال التّأمّل في الأحاديث النّبويّة نجد هناك أموراً خصَّها الرّسول ﷺ في تكوين الطّفل اجتماعياً وهي:

١ - اصطحابه إلى مجالس الكبار:

كان الأطفال يحضرون مجلس النّبيّ ﷺ وكان آباؤهم يأخذونهم إلى تلك المجالس الطّيّبة الطّاهرة، فهذا عمر يصحب ابنه إلى مجلس رسول الله ﷺ، أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخبروني بشجرة مَثَلُها مَثَلُ المسلم تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها، ولا تحتّ ورقها**»، فوقع في نفسي النّخلة فكرهتُ أن أتكلم، وثَمَّ أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال النّبيّ ﷺ: «**هي النّخلةُ**» فلمّا خرجتُ مع أبي قلتُ: يا أبتاه وقع في نفسي النّخلة؟ قال: ما منعَكَ أنْ تقولَها؟ لو كنتَ قلتَها كانَ أحبَّ إليَّ من كذا وكذا، قال: ما منعني إلّا أنّي لم أرَكَ ولا أبا بكر تكلمتُمَا فكرهتُ. وفي رواية: فإذا أنا أصغر القومِ فسكتَ.

وكان ﷺ يُعاشر ويُخالط الأطفال، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

يُخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عُمَيْر ما فعلَ النُغَيْر؟» هو طائر كان يلعب به، ونُضِحَ بساطٌ لنا، قال فصلّى عليه وصففنا خلفه»[١].

روى ابن سعد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: لِمَ ندخل هذا الفتَى معنا؟ ولنا أبناء مثله؟.

فقال: إنّه ممّن قد علمتُهم، فدعاهم ذات يوم ودعاني، وما رأيتُه دعاني يومئذ إلّا ليريهم منّي، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾[٢] الآية... حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمدَهُ ونستغفرَهُ إذا جاء نصرُ الله، وفتحَ علينا. وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس: أكذلك تقول؟ قلتُ: لا، قال: فما تقولُ؟ قلتُ: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمَهُ الله إذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيتَ النّاس يدخلون، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلّا ما تعلم.

قال المهاجرون لعمر بن الخطاب: ادْعُ أبناءَنا كما تدعو ابْنَ عباس، قال: ذاكم فتَى الكُهولِ، إنّ له لساناً سؤلاً وقلباً عقُولاً[٤].

وعن أبي جُحيفة رضي الله عنه [وهو من صغار الصحابة] قال: كنتُ عند النّبيّ ﷺ فقال لرجل عنده: «لا آكل متكئاً»[٥].

٢ - إرسال الطّفل لقضاء الحاجات:

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم واللفظ لأحمد عن ثابت البُنَاني عن

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١١٩.
(٢) سورة النصر، الآية: ١.
(٣) سورة النصر، الآية: ٣.
(٤) في رواية الحاكم في مستدركه ٣/ ٥٤٠.
(٥) رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وأبو يعلى في مسنده ٣/ ١٨٦ بسند صحيح.

أنس ﷺ قال: خدمتُ رسول الله ﷺ يوماً حتى إذا رأيتُ أني قد فرغتُ من خدمتي، قلتُ يقيل - أي ينام - بعد الظهر رسول الله ﷺ فخرجتُ إلى صبيان يلعبون، قال: فجئتُ أنظر إلى لعبهم قال: فجاء رسول الله ﷺ فسلّم على الصّبيان يلعبون، قال: فدعاني رسول الله ﷺ فبعثني إلى حاجةٍ له فذهبتُ فيها، وجلس رسول الله ﷺ في فيء حتى أتيتُه، واحتبستُ عن أُمّي عن الإتيان الذي كنتُ آتيها فيه، فلما أتيتُها قالت: ما حَبَسكَ؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجةٍ له، قالت: وما هي؟ قلتُ: هو سرٌّ لرسول الله ﷺ، قالت: فاحفظ على رسول الله ﷺ سرَّهُ، قال ثابت: قال لي أنس: لو حدثت به أحداً من الناس، أو لو كنتُ محدّثاً به لحدثتُكَ به يا ثابت.

وعن عليّ كرّم الله وجهه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قوم ذوي أسنان وأنا حديث السّنّ، فقال: **«إذا جاءك الخصمان فلا تسمعْ من أحدهما حتى تسمع من الآخر، فإنّه سيُبِيرُ لك القضاء»**[1] ويُبير: أي يُفسد ويُهلك.

وإن من آداب قضاء الحاجات، تعليم الطّفل اللّطف في الطّلب إن كانت الحاجة طلب دَيْن، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: **«كانَ رجلٌ يُدايِنُ النّاسَ وكان يقولُ لفتاه إذا أتيت مُعْسراً فتجاوَزْ عنه، لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنّا، فلقِيَ الله فتجاوزَ عنه»**.

٣ - تعويد الطّفل سُنّةَ السّلام:

السّلامُ هو التّحية الإسلاميّة بين المسلمين، والطّفل يتعرّض للقاءِ النّاس على اختلاف مستوياتهم، فهو يحتاج ليتعرّف على مفتاح الكلام معهم، فالسّلام مفتاح الكلام!.

ونلاحظ أسلوباً لطيفاً من الرّسولِ ﷺ وصحابته في غرس سُنّة السّلام في نفس الطّفل.

أخرج البخاري ومسلم عن أنس ﷺ أنّه مرّ على صبيانٍ فسلّم عليهم، وقال:

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ١/ ٣٠٥ والترمذي والبيهقي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

كان رسول الله ﷺ يفعلُهُ. وأخرج النسائي حديث الباب من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت بأتم من سياقه ولفظه: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيُسلِّم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم ويدعُو لهم.

٤ - عيادة الطّفل إذا مرض:

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدمُ النّبيّ ﷺ فمرض فأتَاهُ النّبيّ ﷺ يعودُهُ فقعَدَ عندَ رأسِهِ، فقال له: «أَسْلِمْ» فنظر إلى أبيه وهو عندَهُ، فقال: أطعْ أبا القاسم، فأسلمَ، فخرج النّبيّ ﷺ وهو يقولُ: «الحمدُ لله الذي أنقذَهُ مِنَ النّارِ».

وهكذا تجد منه ﷺ استغلال كل فرصةٍ ليغرسَ شيئاً في نفس الطّفل، وفي كل لقاءٍ يُعلِّمُه علماً نافعاً، وفي كلِّ مشاهدةٍ يُعوِّدُهُ على الخير.

٥ - اختيار الطّفل أصدقاء له من الأطفال الصالحين:

مِنَ السُّنن الاجتماعية الثابتة بينَ النّاس؛ الصحبة والصداقة! فمن طبيعة النّفس البشرية أن تُخالط الناس وتتعرّف عليهم وتتّخذ من بينهم ثُلّةً تقترب منهم، وتعيشُ معهم حياةَ الأخوّة والمحبّة، فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصّالح لطفلهم فقدْ فتَحَا باباً تربوياً في إصلاح هذا الطّفل وتنميته.

٦ - مزاح النّبيّ ﷺ مع الأطفال:

أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسنَ النّاسِ خُلُقاً، وكان لي أخٌ يقال له: أبو عُمير وهو فطيم - كان إذا جاءنا قال: «يا أبا عُمير، ما فعل النُّغَيْر». لنَغْرٍ كان يلعبُ به، وربّما حضرت الصّلاةُ وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيُكنس ثم يُنفخ، ثم يقوم ونقوم خلفه فيُصلّي بنا. والنُّغَيْر: تصغير النَّغر، وهو طائر.

البحث الثالث:

التّعامل مع الطّفل بالرأفة والرّحمة

القُبْلةُ والرّأفَةُ والرّحمةُ للأطفال واجبة في الإسلام.

إنّ للقُبلة دوراً فعّالاً في تحريك مشاعر الطّفل وعاطفته، كما أنّ لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحبِّ بينَ الكبير والصّغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطّفل النّاشىء، وهي بُرهانٌ على تواضع الكبير للصّغير، وهي النّور السّاطع الذي يُبهر فؤاد الطّفل ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السنّة الثّابتة عن رسول الله ﷺ مع الأطفال.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناسٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبِّلُون صِبْيَانَكُم؟ فقال: نعَمْ، قالوا: لكنّا والله ما نُقبّل، فقال رسول الله ﷺ: «**أوَ أمْلِكُ إنْ كانَ الله نَزَعَ من قلوبِكُمُ الرّحمةَ؟!**»[1]. وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل النّبيّ ﷺ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما فقال الأقرع بن حابس: إنّ لي عشرةً من الولدِ ما قبّلتُ منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لا يرحَمْ لا يُرحَمُ**». وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ أرحمَ النّاسِ بالصّبيان والعيالِ[2]. وأنّ الرحمة بالأطفال والشّفقة عليهم صفة من صفات النّبوّة المحمّديّة، وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فأعطتْها ثلاث تمراتٍ، فأعطتْ كلّ صبي لها تمرةً، وأمسكت لنفسها تمرةً، فأكل الصّبيان التّمرتين ونظرَا إلى أُمّهما فعمدتِ الأم إلى التّمرة فشقتْها فأعطتْ كلّ صبيٍّ نصفَ تمرةٍ، فجاء النّبيّ ﷺ فأخبرتْهُ عائشةُ، فقال ﷺ: «**وما يُعجبُكِ من ذلك، لقد رحمَها الله برحمتِها صبْيَيْها**».

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/ ٧٠.

(٢) صحيح الجامع رقم ٤٧٩٧.

ومن صور رحمة الرّسول ﷺ بالأطفال ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **«إنّي لأدخل في الصّلاة وأنا أُريد أن أطيلَها فأسمعُ بكاءَ صبي فأتجوّزُ في صلاتي لِما أعلمُ من وَجْدِ أمِّهِ من بكائِهِ»**(١).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يُصلّي بالنّاس وهو حامل أُمَامَةَ بنتَ زينب بنتِ رسول الله ﷺ، فإذا سجدَ وضعَها وإذا قامَ حملَها»(٢).

روى ابن عساكر عن عبد اللّه بن جعفر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقّى الصّبيانَ من أهل بيته، وأنّه جاء من سفر فسبقَ أبي إليه، فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين عليهما السلام فأردفَهُ خلفه، فدخلنَا المدينةَ ثلاثة على دابّة(٣).

وقال رسول الله ﷺ: **«إنّي أُحرّج عليكم حقَّ الضّعيفين: اليتيم والمرأة»**(٤). وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: **«مَنْ عَالَ** - أي قام عليهما في المؤنة والتّربية - جاريتين - أي بنتين - **حتى تَبْلُغَا جاءَ يوم القيامة أنا وهو كهاتين»**، وضمّ أصابعه!. وروى البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتْ عليّ امرأةٌ ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرةٍ واحدةٍ فأعطيتُها إيّاها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخلَ النّبيّ ﷺ علينا فأخبرتُه فقال: **«من ابْتُلِيَ من هذه البناتِ بشيءٍ فأحسنَ إليهنّ كُنَّ له سِتْراً مِنَ النّار»** وفي رواية لمسلم قال: **«إنّ الله قد أوجبَ لها الجنّةَ»** أو: **«أعتقها بها مِنَ النّار»**.

وروى أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحْسَنَ صحبَتُهنّ واتّقَى الله فيهنّ فلهُ الجنّةُ»**.

---

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود.
(٢) أخرجه السّتّة إلّا الترمذي. ورواه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٣٨٣ و١٢/ ٤١.
(٣) صحيح الجامع رقم ٤٧٦٥.
(٤) صحيح الجامع رقم ٢٤٤٧.

وفي رواية أبي داود قال: «مَنْ عَالَ ثلاثَ بناتٍ أو ثلاثَ أخواتٍ، أو أختين أو بنتين فأدّبهنّ وأحسنَ إليهنَّ وزوّجهنّ فلَهُ الجنّةُ! وفي رواية: «من كان له ثلاثُ بناتٍ أو أخواتٍ، أو بنتان أو أختان فأحسن صُحبتَهُنّ وصبرَ عليهنّ واتّقى الله فيهنّ دخلَ الجنّة».

رعاية اليتيم وتربيتُه من أعظم الأعمال بعد عبادة الله تعالى:

أخرج البخاري عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل** - القائم بأمور - **اليتيم في الجنّة هكذا**»، وأشار بالسّبّابة والوُسْطى، وفرّج بينَهُما»[(١)].

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُسَاءُ إليه؛ أنَا وكافلُ اليتيمِ في الجنّة كهاتين!**» يُشيرُ بأصبعيهِ[(٢)].

حفظ مال اليتيم والتّجارة بماله:

عن أبي شُريح خُويلد بن عمرو الخُزاعي رضي الله عنه قال: قال النّبيّ ﷺ: «**اللّهمَّ إنّي أُحرّجُ حقَّ الضّعيفين: اليتيم والمرأة**»[(٣)]. قال النّووي رحمه الله معنى حَرّج: أُلْحِقُ الحَرَجَ، وهو الإثم بمَنْ ضيّع حقَّهما، وأُحذِّرُ من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجرُ عنه زجراً أكيداً.

وأخرج مالك في الموطأ عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اتّجرُوا في أموالِ اليَتامى لا تأكلها الصدقةُ.

الصبر على مرض الطّفل:

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

---

(١) الحديث حسن بشواهده، قاله الأرناؤوط في جامع الأصول ١١/ ٦٤٢.
(٢) حديث صحيح، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.
(٣) حديث حسنٌ رواه النسائي.

يزال البلاءُ ينزِلُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسهِ وولدِهِ ومالِهِ، حتى يلْقَى الله، وما عليه من خطيئةٍ»[١].

أجر الصّبر على وفاة الطّفل:

وروى البخاري ومسلم لبعضه عن أنس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم ﷺ وهو يجودُ بنفسه فجعلتْ عَيْنَا رسول الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: وأنتَ يا رسولَ الله؟! فقال: «**يا ابْنَ عوفٍ إنّها رحمةٌ**»، ثم أتبعها أُخرى! فقال: «**إنّ العينَ تدمعُ والقلبَ يحزنُ، ولا نقولُ إلّا ما يُرضي ربَّنا وإنّا بفراقِكَ يا إبراهيم لمحزونون**» قال الحافظ ابن حجر معلّقاً على الحديث: قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يُفسّر البكاء المباح والحُزْنَ الجائز، وهو ما كان بدمع العين ورقّة القلبِ من غير سُخْطٍ لأمرِ الله، وهو أبينُ شيء وقع في هذا المعنى وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمّه ومشروعيّة الرّضاع، وعيادة الصّغير والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى.

وفي الصّحيحين عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مسلم يموت له ثلاثةٌ لم يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إلّا أدخَلَهُ الله الجنَّةَ بفضلِ رحمته إيّاهم**»[٢]. وفي الصّحيحين أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ مِنَ الوَلدِ لا تمسُّه النّارُ إلّا تَحِلّةَ القَسَمِ**». ومعنى «تحِلَّةِ القسم» قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٣] والوُرُوْدُ: هو العُبور على الصّراط، وهو جسر منصُوبٌ على ظهرِ جهنّم، قال الحافظ ابن حجر مُعَلّقاً على الحديثين: والمعنى لم يبلغوا الحُلُمَ فتُكتَبُ عليهم الآثامُ.

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنّ امرأةً أتَتِ النّبيّ ﷺ بصبيٍّ لها فقالت: يا رسولَ الله! ادْعُ الله له فقدْ دفنتُ ثلاثةً؟! فقال: «**لقدِ احتظرتِ بِحِظَارٍ شديدٍ مِنَ النّارِ، دعاميصُ الجنّة، يلقى أحدُهم أبَاهُ فيأخُذُ بناحية ثوبِهِ فلا يُفارقُهُ حتّى يَدْخُلَ الجنّةَ**» وهذا من عظيم الفضل على الصّابرين.

---

(١) صحيح الجامع رقم ٥٨١٥.
(٢) فتح الباري الجزء الثالث، ص: ٣٦٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ٧١.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءتِ امرأةٌ إلى النّبيّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إنّا لا نقدر عليكَ في مجلسٍ، فوَاعِدْنَا يوماً نسألك فيه، فقال: «**مَوْعِدُكُنّ بيت فلان**»، فجاءَهُنّ بذلك الموعد وكان فيما حدّثهنّ: «**ما مِنْكُنّ امرأةٌ يموتُ لها ثلاثٌ من الولدِ فتحتسِبُهُمْ إلّا دخلتِ الجنّةَ!**» فقالتِ امرأةٌ: واثنان! قال: «**واثنان**»!.

فالصّبر على قضاء الله تعالى بعد التّسليم له سبحانه فيه من أصول الإيمان، ومن هنا كانت المرأة المؤمنة الصّابرة راضيةً عن قضاء الله تعالى وقدره، قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمرِ المسلم [وكذلك المسلمة]! إنّ أمْرَهُ كلَّهُ خيرٌ، وليسَ ذاكَ لأحدٍ إلّا للمؤمنِ، إنْ أصابتْهُ سَرَّاءُ شكَرَ، فكان خيراً له، وإنْ أصابتْهُ ضرّاءُ صبَرَ، فكان خيراً لهُ**»[1].

البحث الرابع:

المساواة بين الأطفال واجب على الآباء

روى الشيخان عن النّعمان بن بشير رضي الله عنهما أنّ أبَاهُ أتَى به رسول الله ﷺ فقال: إنّي نحلتُ - أي أعطيتُ - ابْني هذا غلاماً كان لي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أكلَّ ولدِكَ نحلتَهُ مِثْلَ هذا؟!**» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُشْهِدْنِي على جَوْرٍ**»، ثم قال ﷺ: «**أيَسُرُّك أن يكونوا إليكَ في البِرِّ سَوَاءً؟**» قال: بلى، قال رسول الله ﷺ: «**فلا إذنْ**»!. وفي رواية لمسلم فقال: «**أفعلتَ هذا بولدِكَ كلِّهم؟!**» قال: لا، قال: «**اتّقُوا الله واعْدِلُوا في أولادِكم**» فرجع أبي في تلك الصّدقة. وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «**لك ولدٌ غيرُهُ؟**» قال: نعم، قال: «**فأعطيتَهُم كما أعطيتَهُ؟**» قال: لا، قال: «**ليس مثلي يشهدُ على هذا، إنّ الله تعالى يُحب أن تعدِلُوا بين أولادِكم، كما يُحب أن تعدلُوا**

(١) صحيح مسلم برقم: ٢٩٩٩.

بينَ أنفسِكُم»[١]. وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث النّعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعْدِلُوا بينَ أوْلاَدِكُمْ اعْدِلُوا بينَ أوْلاَدِكُمْ، اعْدِلُوا بينَ أوْلاَدِكُمْ**»[٢]. ووجه الدّلالة في هذه الأحاديث أنّ عدم المساواة بين الأولاد حرامٌ، فوق أنّه تمييزٌ لبعض الأولاد على البعض الآخر، وهو من شأنه توليدُ العداوة والحقد والبغضاء بينهم ويُؤدّي إلى قطيعة الرّحم.

وروى مسلم عن جابر بن عبد اللّه ﷺ قال: اقتَتَلَ غُلامان؛ غلامٌ من المهاجرين، وغلامٌ من الأنصار، فنادَى المهاجريّ: يا للمهاجرين! ونادَى الأنصاريّ: يا للأنصار! فخرج النّبيّ ﷺ فقال: «**ما هذا؟ دعوَى الجاهلية؟**» قالوا: لا يا رسولَ الله! إلّا أنّ غُلامين اقتَتَلا، فكَسَعَ أحدُهما الآخرَ [الكَسْعُ: أن يضربه على قفاه بصدر قدمه]، فقال ﷺ: «**لا بأسَ، ولينصرِ الرجلُ أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فليُنْهِهِ، فإنّ هذا لهُ نَصْرٌ، وإنْ كان مظلوماً فلينصُرْهُ**»، وهذا فيه معنى العدل والإنصاف بين المُتَخَاصِمَيْن!.

ومن العدل أن تُفرِّقَ بين الأطفال إذا رأيتهم يقتتلُون؛ لأنّه لا بدّ من وجود ظالم منهم ومظلوم، ولهذا قال التّرمذي: رأيتُ أبا عبد اللّه - أي أحمد بن حنبل - مرّ على صبيان الكُتّاب يقتتلُون، ففرَّقَ بينهم[٣].

(١) الدارقطني ٣/ ٤٢.
(٢) سلسلة الأحاديث الصّحيحة رقم ١٢٤٠.
(٣) الآداب الشّرعية والمناهج المرعية، لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبليّ ١/ ١٨٢.